الحضور اليومي للمقدس في حياة الفرد العراقي

ا. د صلاح كاظم جابر & م.باحث: مروة كاظم عبد

كلية الآداب / جامعة القادسية

تاريخ استلام البحث: ٢٠١٦/٤/٥ تاريخ قبول النشر: ٢٠١٦/٥/١١

الخلاصة:

يرى ماكس فيبر أن النظرة الى العالم تتشكل عبر منظومة المعاني التي يكتسبها الفرد في حياته الاجتماعية عن طريق تفاعل المنظومة الثقافية مع اجتماعية المعرفة لتعمل بدورها على تشكيل الاطر العامة للمعنى فيقوم الفرد على هذا الاساس بتفسير كل المواقف والوقائع الاجتماعية التي يمر بها أو يكتسبها عن طريق الخبرات الاجتماعية التي توفرها له عمليتي التنشئة الاجتماعية و الثقافية في المجتمعات والتي لابد أن يمر بها كلا منا يشكل الدين العمود الفقري لها نظرا لأهمية ما يؤديه من الوظائف النفسية والاجتماعية من ابرزها توفير الامان والاطمئنان اللذان يساعدان الفرد بشكل بارز على الاستمرار في تقبل الحياة ذاتها وتحقيق الاندماج في الحياة الاجتماعية للمجتمعات التي ينشأ فيها فتتأثر مجمل جوانب الحياة الاجتماعية له بشكل مباشر أو غير مباشر بهذه النظرة وبتفسيراتها للمعاني التي تشكلها المنظومة المعرفية الاجتماعية.

يكاد يتفق الانثروبولوجيين الثقافيين والدارسين لعلم الاجتماع الديني على أن عملية تفسير التقديس اللاحق الذي يظهر في التطور التاريخي للدين كتقديس الافراد من الانبياء أو الحواريين (الصحابة) أو الاولياء أو الصالحين أو ورثتهم بالنسب أو تقديس الاشياء التي لها ارتباط مباشر أو غير مباشر بالدين في جميع الاديان تقوم على نظرية (البقايا الوثنية) التي تفسر طبيعة التقديس والفاعلية الاجتماعية له على انه مجموعة من الرواسب الاجتماعية التي عملت البيئة الاجتماعية للفرد والجماعة على اظهارها على سطح السلوكيات الاجتماعية بما فيها السلوكيات الدينية فيعتبرون كل المقدسات التي ظهرت لاحقا ولم ترد في النصوص التأسيسية الاولى هي جزء من البقايا الوثنية التي تمثل الاثار الاجتماعية الدينية التي سبقت دخول الدين المعني الى المجتمعات أو تلك التي ظهرت فيها الاديان ابتداء. فيبدأ الافراد والجماعات في هذه المجتمعات باختراع الطقوس الدينية التي تعمل على تغطية الجوانب الدينية لهذه

المقدسات بإيجاد التبريرات الاجتماعية لانتمائها الى الدين على الرغم من عدم الاشارة اليها في نصوصه على خلاف المقدسات التي يقرها الدين في النصوص التأسيسية التي تمارس نحوها الشعائر.

لا بد أن تدخل جميع الاديان الجديدة في عملية تفاعل اجتماعي بين مجتمعين متمايزين يتمثلان في جماعات اجتماعية تعمل احداهما على احداث التغيير الجذري السريع في الاخرى في جميع مناشط الحياة الاجتماعية بين الدعاة الوافدين والمواطنين الاصليين وتلاقح ثقافي بين ثقافة المجتمع التي تشكل عماد الموروث الثقافي الشعبي فيها والثقافة الجديدة التي يشكل الدين عمودها الفقري نتيجة عملية الاعتماد المتبادل بين الافراد في عملية تحقيق العمليات الاجتماعية التي تسير الحياة الاجتماعية في المجتمعات كالتعاون والتماسك والتكامل والتنافس وحتى لصراع له وظيفته واهميته في استقرار واستمرار هذه المجتمعات مع كل التغيرات التي تحدث ونتيجة لذلك يؤدى الى دخول بعض عناصر الاديان القديمة في الدين الجديد عن طريق الموروث الثقافي الشعبي بشكل خاص لهذه المجتمعات على جميع الاديان التي تعاقبت عليها والتي انحصرت المعرفة الدينية بها والتي شغلتها الحياة الاجتماعية عن تعليم الافراد ما يجب أن يكون عليه الدين ولا يجوز غيره.

المقدمة

يرى ميشيل مافيزولي في كتابه تأمل العالم أن التحول الذي يصيب القيم الاجتماعية، الذي يحدث كنتيجة حتمية للتغير الاجتماعي. يمكن أن يصيب جميع انماط القيم في البناء الاجتماعي بما فيها القيم الدينية، التي تعاود عملية اعادة صياغة هذه القيم التي تعد فيما مضى قيم ثابتة وضعت من قبل المقدس المتعالي لخير الانسانية، صالحة لكل زمان ومكان على اساس ما يمكن أن يحدث التلاؤم مع الانساق القيمية الجديدة. فتعمل على اعادة صياغة المقدس ذاته كمرحلة اولى في عملية التغيير من خلال العمل على تجسيده بتجاوز المثاليات الدينية التي عفا عليها الزمن. لتتحول الى القيم الدينية الشعبية التي تمثل صورة الواقع الاجتماعي المعاش.

يعرف البعض الدين على انه نسق من المقدسات التي تصاحب ظهور الدين، تتطور وتزداد كثافة كلما تعمق الدين في البعد الزماني. بسبب المحاولات المستمرة الى اعادة تكييف الدين مع واقع الحياة الاجتماعية ومستجداته. بما يضمن اعادة التوازن المفقود بسبب التغيرات الاجتماعية يتم ذلك من خلال بعض البنى الاجتماعية القديمة التي قد تكون متوارثة من حقب موغلة في القدم قياسا بتاريخ نشأت الدين. تعود بالمخيال الشعبي ليأخذ مكان الصدارة في تحديد الديني ورسم اطر التدين بعيدا عن مثاليات الدين، التي عاشها المتدينون في الحقبة الاولى لظهور الدين ليلعب الدور التعويضي في الافتقار الى العدالة الاجتماعية والرخاء الاقتصادي والمساواة التي وعد بها الدين وشكلت الغايات الاساسية لاعتناق الاديان.

تمثل النظرية البنائية الوظيفية بصيغتها الدوركهايمية احد النظريات الاجتماعية التي عملت على تفسير اجتماعية التقديس في حياة المجتمعات التقليدية على وجه الخصوص وفي حياة المجتمعات المتقدمة ايضا على وجه العموم. عند التعامل مع الجماعات الاجتماعية المنظوية في البناء الاجتماعي لهذه الاخيرة، التي تتميز بكونها جماعات مغلقة أو شبه مغلقة كما هو الحال مع الجماعات العربية المسلمة في البلدان الاوربية، خصوصا في بلدان المستعمر القديم حيث ينشط المقدس المجسد في تشكيل الهوية الاجتماعية لهذه الجماعة فتشتد قوة العنف الديني المقدس الموجه نحو الذات أو الاخر من اجل التضحية به اعلاء لشان المقدس في الحياة الاجتماعية

المبحث الأول
عناصر البحث

أولاً: مشكلة البحث وتساؤلاته

ان العلاقة بين التوجهات الفكرية العامة والدينية منها بشكل خاص وبين ما تنطوي عليه الحياة الاجتماعية من مفردات على الصعيدين المعنوي والمادي تؤثر بشكل واضح على طبيعة ومستوى المعرفة والفكر الاجتماعيين السائدان في مجتمع ما وبالتالي فانهما مجتمعان معا يؤثران بشكل مباشر على طبيعة الوعي الاجتماعي للأفراد وتسهم الى حد بعيد في تحديد طبيعة الشخصية الاجتماعية للفرد والجماعة وللمجتمع ككل متكامل يشكل الطابع العام لهذه الشخصيات التي تتعدد بتعدد الثقافات الفرعية ومن ثمة فأنها تشكل الثقافة الاجتماعية العامة بمعناها الانثروبولوجي فضلا عن طريقتها في صناعة الحياة الاجتماعية على الصعيدين الفردي والجماعي ودراسة العلاقة بين المقدس واليومي في حياة الفرد العراقي تبتغي بالدرجة الاساس الى بيان تأثير بعض السلوكيات النمطية التي تحدد طبيعة نظرة الفرد الى العالم ومعنى الحياة عنده من خلال التزامه والزام نفسه بهذه السلوكيات التي يعتبر الخروج عليها من باب التحريم الديني أو انها تسبب له ذات القلق والتوتر الذي يصيبه عند تجاوزه لمجموعة المقدسات الدينية بفعل تأثير الضمير الاجتماعي الذي بني لدى الفرد العراقي من خلال خصوصية المجتمع وخصوصية عملية التنشئة الاجتماعية التي مر بها خلال مراحل حياته المختلفة.

لذا فقد اثارت ملاحظة الباحثة لهذه العلاقة وشدة تأثيرها في بنية الشخصية العراقية واتجاهاتها الاجتماعية ونظرتها الى العالم ومعنى الحياة الذي تنظر من خلاله الى عالم اليوم الذي نعيش فيه مجموعة من التساؤلات يمكن ايجازها بالنقاط الاتية:-

١- ما طبيعة النظرة الاجتماعية الى المقدس الديني عند الفرد العراقي

٢- ما طبيعة المقدسات غير الدينية في سلوكيات الفرد العراقي

٣- ما تأثير شدة تمسك الفرد العراقي بهذه المقدسات على واقع حياته الاجتماعية

٤- ما هي الانعكاسات الاجتماعية لمعنى التقديس عند الفرد العراقي دينيا كان ام اجتماعيا

٥- ما تأثير هذه المقدسات على النظرة الى العالم ومعنى الحياة عند الفرد العراقي

ثانياً: اهمية البحث

تعدّ هذه الدراسة من الدراسات القليلة التي حاولت فهم ما يؤول له تأثير المقدس على يوميات الفرد العراقي وتحديد مدى حضوره فيه في سعيه لتحقيق ذاته وتأثيره في أساليب تفكيره وتوجهاته الاجتماعية نحو المقدس والمجتمع، فضلا عن ذلك حاولت الدراسة وصف ظاهرة المقدس وأثرة على الأنسان من خلال تحليل هذا النمط ألثقافي وفعالياته في تحديد حالة الأنسان في العراقي وبالتالي فهي محاولة الى الوصول الى اضافة علمية في ميدان علم الاجتماع في فهم جانب مهم وفاعل التأثير في بناء الشخصية والثقافة العراقية من خلال المناقشة العلمية لما يأتي:-

١- التعرف على تأثير فكرة ومعنى المقدس عند الفرد العراقي في سلوكياته الاجتماعية

٢- التعرف على تأثير المقدس في تحديد طبيعة الاتجاهات الاجتماعية نحو المؤسستين الاقتصادية والسياسية.

ثالثاً: اهداف البحث

تهدف هذه الدراسة الى:

١ – بيان طبيعة العلاقة بين المقدس والفرد في المجتمع العراقي من خلال دراسة مجتمع مدينة الديوانية كنموذج

٢- بيان تأثير المقدس في يوميات الفرد العراقي لفهم التغييرات الثقافية المحتملة في حياته

٣- بيان تأثير فكرة ومعنى المقدس عند الفرد العراقي في سلوكياته الاجتماعية

رابعاً: المصطلحات والمفاهيم

اولاً: المقدس في اللغة العربية من قدس يقدس، تقديسا وهو التنزيه والأجلال وفي التهذيب التقديس تنزيه الله تعالى فهو المقدس القدوس، المقدس من القدس هو الطهارة والتقديس التطهير والتبريك وتقدس أي تطهر[١]

لقد عرفت (الموسوعة الفلسفية العربية) المقدس بأنه كل ما لا يمكن تدنيسه أو تكوينه ويمتلك المقدس لأنه يمتلك قوه غامضه تنجذب أحيانا أو تتغير أحيانا أخرى. ترتبط فكره المقدس عند الشعوب البدائية بالطوطم اي تقديس شيء أو حيوان معين رمزا للقبيلة أو الجماعة الاولى التي ينتمي اليها الفرد[٢]

اما في قاموس الانثروبولوجيا فالمقدس صفة وصله يطلقها المجتمع على أشياء وأماكن وأعمال يعتبرها واجبه الاحترام. فيقيم لها طقوسا دينية لاعتقاده باتصالها بعبادة الاله أو المعبودات والقوى الفوق الطبيعية لأنها ترمز الى الاشياء الاساسية للمجتمع وهنا يكون المقدس مبنيا على نسق من القيم الاجتماعية تتميز بالرسوخ و الفاعلية في تحديد الانماط السلوكية الواجب انتاجها عند التعامل أو التعاطي معه لا يمكن اختراقها أو تجاهلها(٣).

ثانياً: اليومي أسم منسوب الى اليوم يقول بعمل يومي في كل يوم مستمر دائم كما في يأتي يوميا الى المكتب. جريدة يومية تصدر كل يوم. عامل يومي يشتغل باجر يومي يوميا كل يوم في يوم واحد.(٤) أذن مفهوم اليومي ليس مكشوفا وعاريا على الدوام بل هو مجال للإخفاء والتظاهر والنفاق والزيف والاستلاب والتعبير الغير مباشر عن المواقف والحاجات التي تتداخل فيه كل جوانب النشاط الانساني. أو يعني به المؤقت أو العابر أو غير الرسمي وهو ما يحدث يوميا في مناقشات دور جداول البث عند تنظيم يومية الحياة اليومية(٥).

يختلف مفهوم اليومي (daily) عن مفهوم (Everyday) كل يوم ينطوي على الحالات الى اليومي دائما على مقابله ضمنية مع مصطلح أخر ولذلك فان معناه يتغير تبعا للسياق. وحيث يكون معنى اليومي وهو ما يغلب عليه. يتضمن معنى اليومي بوصفة الامر المألوف أو الاعتيادي، موضوعات الأسرة اليومية مقابله مع الغريب أو الاستثنائي والخارج عن المألوف. ويرتبط هذا بالمعنى السائد لليومي باعتباره الامر العادي وما لا يستدعى الملاحظة والترتيب. وتسجل المقابلة التي ينطوي عليها هذا الاستثنائي والمتميز ليس فقط الابتعاد عن المعايير اليومية، بل تحديدا لها ومن الانتقادات النسوية لهذه المفاهيم التي تغير العلاقات بين العمل والبيت وتغيير انماط تشغيل النساء، والتغيرات في تنظيم الزمان اليومي الى زمان لازمن له جديد عن مجتمع المعلومات (٦)

ثالثاً: **الفرد** في اللغة العربية من المصدر فرد وهو فعل ثلاثي لازم متعدي، من فرد بأمور تفرد واستقل بها، وفرد في عملة تفرد فيه(٧)

الفردية او الفردانية فتشير الى مذهب فلسفي يرى بان مصالح الفرد يجب ان تكون اخلاقيا فوق كل اعتبار لان جميع الحقوق والقيم تنبثق من الافراد لذا فان الفرد هو الغاية في ذاته وبان المبادرة والمصالح الفردية يجب ان لا تخضع لرقابة الحكومة انبثقت في مرحلة زمنية محدده مع النهضة الأوربية في القرنين الرابع عشر، والخامس عشر انبثقت نتيجة لها طريقة حياة جديدة في المجتمعات الاوربية وطريقة جديدة يدرك الفرد ذاته وقدراته من خلالها. في هذا العالم ابتداء التفرد والتطرق الى عناوين تقليدية (٨)

الفرد بوصفة منتجا وفاعلا إبداعيا يتمحور أو يتوسط اللغة والتجربة وجميع عادات وتقاليد المجتمع. في علم الاجتماع لا يشير مفهوم الفرد الى العقيدة الخلقية، التي تحمل الاسم نفسة وانما الى خاصية

يعتبرها بعض الاجتماع مميزه لبعض المجتمعات، وخاصة المجتمعات الصناعية الحديثة : ففي هذه المجتمعات يعتبر الفرد الوحدة المرجعية الاساسية، سواء بالنسبة اليه بالذات أو بالنسبة للمجتمع[٩].

المبحث الثاني

الانماط الاجتماعية للتقديس

تكتسب الرموز والاشياء الواقعية كالاماكن والازمان والاشخاص والسلوكيات والحيوانات سمتها الرمزية المقدسة. نتيجة مجموعة من التوجهات الاجتماعية التي تشكل الاراء والمعتقدات من وجهة نظر كوستاف لوبون. لتعمل على تشكيل الرؤية الفردية والجماعية للعالم، من ثم فانها تمنح الحياة معناها. تتحدد هذه الرؤية في اطارين عامين اساسيين. اولهما الرؤية الدينية، التي تمثل نظرة الانسان الى المقدس المتعالي، وعملية التفاعل المباشر معه في الحياة الدنيا وفي الحياة الاخرى بالنسبة الى الاديان التي تؤمن بحياة ما بعد الموت. اما بالنسبة الى الاديان التي تنظر الى الخلاص الدنيوي لايمانها بالتناسخ كالهندوسية مثلا. فتتحول هذه الرؤية الى ضمان استمرارية وتفعيل اللحمة الاجتماعية للجماعة التي تقوم على اسس ثقافية واجتماعية.[١٠]

تتداخل التاثيرات الاجتماعية لانماط التقديس في المجتمع الاسلامي بشكل خاص أو في المجتمعات الشرقية المتدينة بشكل عام، على اختلاف الاديان السائدة فيها سواء اكانت كتابية سماوية أو غير ذلك بشكل معقد للغاية. اذ قد ينتج ايا منها مقدس مجسد جديد أو تفاعل اكثر من واحد من المقدسات المجسدة قد يؤدي الى نفس النتيجة. بغض النظر عن الحجم الديموغرافي للجماعات الاجتماعية التي تمثل هذه الاديان أو تفرعاتها المذهبية أو الطائفية أو حتى الفرقية منها. هنا يمكن اجمال اهم هذه الانماط بالنقاط الاتية:-

١- **تقديس النصوص** التقديس هو عملية توفير الحماية الاجتماعية لشيء يتوافر على معنى اجتماعي ديني عند الفرد أو الجماعة من خلال احاطته بالمحرمات التي تمنع التساؤل في اصله واحقيته. لذا فهو قيمة اجتماعية تحتل مكانا خاصا في نفوس الافراد. أن لاحتلال هذه القيمة مركزا ساميا في التراتب الاجتماعي للقيم في البناء الاجتماعي للجماعات أو المجتمعات على حد سواء. وكذلك في الدين الذي يؤمن به الفرد ايمانا قطعيا نظر لتواثه عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية التلقائية التي مر بها الفرد في مراحل حياته المختلفة وخصوصا مرحلة الطفولة بحيث شكلت احد اهم العناصر الاساسية لشخصيته.[١١]

تعني قدسية النص التسليم والايمان بالاعتقاد الجازم بصدقه وقدرته على التعبير عن الحقيقة الاجتماعية في كل زمان ومكان. فضلا عن خلوه من التحريف والتبديل الذي يقوم على اساس انتماء هذا النص الى المقدس المتعالي مباشرة. اما الديني فيقصد به كل ما ينسب الى الدين من نصوص مكتوبة أو محفوظة شفهيا

ينطوي على ظاهر وباطن. فيشير الاول الى الصورة المكتوب بها أو المنطوق بها. اما الثاني فيشير الى المعنى المقصود والمتضمن في باطن النص، الذي قد يتوافق مع ما هو منطوق أو يتخلف عنه تماما على اسس عديدة. اهمها الزمان والمكان والمناسبة التي استوجبت ظهور النص الديني.(١٢)

يحتل النص الديني المكانة المركزية في التشريع. الا ان هذه المكانة تتحدد بالتفسيرات التي توضع للنص الديني لاحقا سعيا الى خلق نمط من التوافق بين النص ومستجدات العصر. اذ ان النص الديني يتميز بالثبات وذلك لانقطاع التواصل المستمر مع مصدر النص (الالهي) في الاديان الكتابية على وجه الخصوص. بسبب موت الكارزما (النبي) الذي يمثل حلقة الوصل المباشر بين الالهة والانسان. فيصار الى قراءته أو اعادة قراءته وفق متطلبات العصر. الا ان مما لابد من ذكره في هذا المجال أن اعادة القراءة هذه ستقترن بقدسية القارئ الجديد أو ما نسميه في علم الاجتماع الديني بالمخول اجتماعيا. حيث تختلف هذه القراءات من توجه اجتماعي ديني مذهبي أو فرقي الى اخر بل من رجل دين الى اخر، احيانا ممن ينتمون الى نفس التوجه، وهي عملية مستمرة باستمرارية التغير الاجتماعي والثقافي وظهور المستجدات في الحياة الاجتماعية. فلا يستمع الناس المؤمنين بدين معين الى كل قراءة. بل تنحصر باشخاص معدودين من الوسط الديني حصرا. لهذا السبب نجد أن تاثير الدراسات العلمية الاجتماعية والانسانية، منها علم الاجتماع الديني بشكل خاص لا تجد صداها من القبول الاجتماعي في مجتمعاتنا. بل ينحصر تاثيرها في ادنى مستوياته لافتقار الباحثين الى القدسية التي تخولهم قراءة النص الديني أو اعادة قرائته ويكتفون بمطالبة رجال الدين أو المؤسسة الدينية بعمليات اصلاح التفسيرات لتلائم حاجات العصر.(١٣)

٢- **تقديس المكان** لا تنحصر عملية التقديس بالارتباط الديني المباشر بين المكان والدين من خلال النصوص أو التعليمات الدينية. الا في حالة المقدسات الدينية العامة اي المقدسات التي اقرها الكارزما ذاته، سواء اكانت موجودة قبل ظهور الدين أو ظهرت بعده كتقديس الكعبة أو تقديس غار حراء. بل ترتبط عملية التقديس للمكان بما يكرس له هذا المكان من غايات واهداف دينية، لها صلة مباشرة أو غير مباشرة وترتبط بعلاقة مع المقدس المتعالي. اذ يعتبر تقديس المكان في هذه الحالة تقديسا لوظيفته المكرسة، فيكون المكان الانسب والاكثر طهارة لممارسة الطقوس للمقدس، بصورة غير مباشرة كما هو الحال مع قبور الاولياء والصالحين أو المساجد أو الحسينيات. في مثل هذه الحالة تمثل هذه الاماكن حالة من الفصل التي تتطلب العبور من اليومي المفارق الى القدسي. بعملية تطهيرية تمثل الانغماس في حضرة المقدس المجسد للوصول الى الانغماس لهما معا في حضرة المقدس المتعالي. من خلال الطقوس والشعائر التي تفصل المدنس اليومي وكلا من المقدس المجسد والمتعالي اللامتناهي.(١٤)

٣- **تقديس الاوقات** يمثل الوقت الذي تمارس فيه الطقوس والشعائر الزمن الدنيوي للحضور الفعلي للمقدس المتعالي، الذي يراقب الانسان في التزامه الديني وادائه لواجباته الدينية ازاءه. فيكرس هذا الوقت لمثل هذه الافعال التي تضمن قبول المقدس المتعالي لما يصدر عن الانسان من ردات فعل ذات اتجاه ديني محددة بالوقت المحدد اصلا في النص الديني. أو في العادات والتقاليد الاجتماعية التي كرست للممارسة الطقوس والشعائر. فالتزاحم المليوني للحجيج في مكة المكرمة في ايام معدودات مثلا حددته الصيغة الاجتماعية الثقافية للمجتمع العربي المسلم. وهذه الايام مقدسة تقديسا مجسدا على الرغم من اختلافها مع النص الديني الاساسي المقدس. وعلى الرغم مما تسببه من التضحية بالاف الارواح نتيجة هذا التزاحم. الا ان جميع المسلمين اليوم يكاد يتفقون على بطلان الحج أن لم تنجز جميع شعائره في هذه الايام. بغية الوصول الى العيد كعامل توحيد وتقوية لمحة الجماعة الاسلامية، التي تتناسى الى حد كبير اختلافاتها المذهبية على اساس هذا التاريخ. فقد ورد في القران الكريم الذي يعتبر النص التاسيسي المقدس عند جميع المسلمين بان الحج اشهر معلومات في حين يمارسه المسلمين من كل اضفاء العالم في ايام معدودات فقد ورد في قوله تعالى (الحج اشهر معلومات)•. هنا نجد أن عملية تجسيد المقدس خارج اطار المقدس الديني عملت على تشكيل نمط محدد من الرؤية الى العالم خارج اطار الرؤية الدينية.[١٥]

٤- **تقديس الشخصيات** الكارزما (النبي) بوصفه شخصية اجتماعية عادة ما يؤكد على عدم قدسيته قياسا بالمقدس الذي يدعو اليه (قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي).•• وبمجرد وفاته تحظى الشخصيات الدينية الاخرى التي صاحبته بالتقديس نظرا لاهمية ما تقوم به من ادوار في تحقيق الانتماء والالتزام الديني. فضلا عن تحديد نمط التوجهات الاجتماعية ذات الطبيعة الدينية الا ان هذا التقديس يخضع لقوة الاصرة الاجتماعية التي تربط هذه الشخصية بالكارزما أو تخضع لمراتبية اجتماعية طبقا للمكانات والادوار الاجتماعية التي يؤديها كلا منهم في عملية تكريس هذه الشخصية لخلق حلقة وصل بين المقدس المتعالي وبين المؤمنين بالدين فيتحول بذلك الى مقدس مجسد يستمد قدسيته من قدسية المقدس المتعالي مباشرة.

هذا النمط من التقديس يشمل الشخصيات الكارزماتية في التاريخ الاجتماعي والديني ايضا التي عملت على الوصول الى ما وصلت اليه من مكانة اجتماعية أو دينية من خلال ما قدمته من التضحيات في سبيل القضية أو الدين أو المقدس المتعالي. اذ تعد من وجهة نظر رينيه جيرار نمطا من انماط ممارسة العنف المقدس الذي تتم فيه التضحية بالذات من خلال التحمس للاستشهاد في سبيل المبادئ أو الدين. حتى وان لم يكونوا من رجال الدين (الرعيل الاول) الذين يتعاملون بشكل مباشر مع الوقائع والنصوص الدينية. أو كانت اهدافهم الدنيوية ذات غايات دينية. الا أن ما يكتسبه رجال الدين من القدسية وخصوصا الاحياء منهم ناتج عن تعاطيهم لمقدسات الدين الاساسية من خلال التعاليم الدينية وتفسير

النصوص واعادة قراءة الدين ليلائم العصر ومستجداته فيستمد هذه القدسية من قدسية الدين وقدسية النص الديني وبالتالي فانه سيصبح مقدس مجسد قادر على انتاج نصوص مقدسة تكتسب صفة الالزام لجماعة الاتباع.(١٦)

٥- **تقديس السلوكيات** ترتبط عملية تقديس السلوكيات الدينية واليومية غير الدينية بصورة اساسية للمصالح الاجتماعية للافراد وامكانية كل منهم على ارتكاب مثل هذه السلوكيات بشكل يومي دون أن تفرز مجموعة من النتائج السلبية على واقع حياته الاجتماعية حيث يتم اللجوء في هذه الحالة الى مجموعة التبريرات الاجتماعية الدينية التي يبحث عنها الفرد ذاته من خلال شؤال رجال الدين أو بيان صورة من الجبر التي يخضع لها لارتكابه أو امتناعه عن ارتكاب بعض السلوكيات التي لا ترتبط بالهوية الدينية للفرد أو الجماعة الاجتماعية التي ينتمي اليها وهنا ياخذ التقديس بعد اجتماعيا ثالثا بالاضافة الى البعد التجسيدي الا وهو الاعتياد الملزم الذي يخلق التوتر ومن ثم القلق عند الفرد لتركه مثل هذه السلوكيات لارتكاب غيرها تلك التي لا يعرفها أو تلك التي تؤثر بشكل مباشر على مصالحه الاجتماعية التي لها مساس مباشر بحياة الجماعة الاجتماعية الاولية (الاسرة) او الثانوية الجماعة.(١٧)

٦- **تقديس الشعائر والطقوس** يختلف مستوى القدسية الذي تتمتع به الشعائر عن مستوى قدسية الطقوس اذ تستمد الاولى قدسيتها من قدسية النص الديني التاسيسي المقدس لانها مامور بها دينيا كما أن عملية تقديسها أو ما يطلق عليه النص تعضيمها ايضا مامور به دينيا (ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب)• والامر هنا لايقتصر على الاسلام بل يشمل عموم لفظ الشعائر كمفهوم في كل الاديان على الاطلاق وهي قليلة الى حد بعيد قياسا بالطقوس بالاضافة الى انها لا تتجاوب مع الحاجات الاجتماعية اليومية لانها تخضع لنصوص ثابتة لم تواكب التغير الاجتماعي فضلا عن كونها مكلفة اقتصاديا فضلا عن دورية ممارستها وشروط هذه الممارسة التي تشق في كثير من الاحيان على عامة الناس. اما التقديس الذي تحظى به الطقوس فهو ذا منشأ اجتماعي لا اصل له في الدين لان الطقوس في جميع الاديان تكون ذات منشأ اسطوري.(١٨)

الا أن الفاعلية الاجتماعية للطقوس كمقدس مجسد اكبر بكثير من فاعلية الشعائر وذلك لمساسها بواقع الحياة اليومية وقابليتها للتغير والتاقلم مع الضروف الاجتماعية المستجدة لعدم وجود نص ثابت يحددها في النص التاسيسي المقدس الذي يعد من الثوابت الدينية فضلا عن انها تتحدد بطبيعة الخصوصية الثقافية والاجتماعية وهي في متناول الافراد دون قيد أو شرط قليلة التكاليف الاقتصادية لذا فانها تكتسب سلطتها الاجتماعية من حضورها المستمر والدائم في حياة الفرد دوريا على خلاف الشعائر التي يمكن أن تكفي تمارستها لمرة واحدة فقط وهي من الواجبات التي لا يجب أن تربط بالحاجات في حين أن الطقوس على خلاف ذلك.(١٩)

هنالك فرق اساسي بين الشعائر والطقوس هو أن الاولى تمنح الفرد معنى ديني خالص فيما تنمح الثانية الفرد المعاني الاجتماعية التي ابتغاها من عملية تجسيد المقدس المجسد الذي وجهت نحوه الطقوس والتي تمثل حاجات اجتماعية أو غايات فردية بشكل أو باخر يعزز هذا التوجه تعدد الحاجات الاجتماعية الجماعية والفردية والعجز عن ايجاد السبل والتفسيرات المنطقية لاشباع هذه الحاجات أو كبتها

٧- تقديس العنف (الحرب الدينية او الانتحار الديني)

العنف هو كل ما يمكن أن يمارسه الانسان من خلال اسنخدام القوة المتاحة من فكر أو سلوك أو فعل ضد نفسه أو الاخرين بقصد الحاق الضرر بهم لتحقيق مصالح ذاتية أو جماعية. العنف يظهر من الناحية الاجتماعية بانه سلوك أو فعل يتسم بالعدوانية ، يصدر عن طرف قد يكون فرداً ، جماعة ، طبقة اجتماعية أو دولة بهدف استغلال وإخضاع طرف آخر في إطار علاقة قوة غير متكافئة اقتصادية ، اجتماعية وسياسية ، مما قد يتسبب في إحداث أضرار عديدة لقيام هذا السلوك أو الفعل الذي يقوم على استخدام وسائل القهر والقوة أو التهديد باستخدامها يهدف الى اخضاع الاخر لتحقيق أهداف مرفوضة اجتماعياً وقانونياً بما يلحق أضراراً مادية ومعنوية هنا يكون العنف كل فعل ينطوي على إنكار للكرامة الإنسانية واحترام الذات ويتراوح مابين الإهانة بالكلام وبين القتل مقصود أو غير مقصود لانه يسبب ايلاماً بدنياً أو نفسياً لشخص أو جماعة أو مجتمع.[٢٠]

هناك ثلاثة اتجاهات أساسية في تعريف العنف الاول منها يصنف العنف بأنه الاستخدام الفعلي للقوة المادية. اما الثاني فيعتبر العنف كل تهديد باستخدام القوة المادية. والثالث يرى أن العنف أوضاع هيكلية بنائية تنشأ نتيجة الاختلافات والتناقضات الكامنة في البناء الاجتماعي للمجتمع وهو ما يعرف بالعنف الكلي او البنائي أو العنف الخفي وذلك لانه عنف كامن في البنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية ومنها الدينية للمجتمعات وفي ذلك تمييز له عن العنف الظاهر الذي يتم التعبير عنه بسلوكيات وممارسات ظاهرة وملموسة.[٢١]

يرى الفيلسوف الانكليزي كارل بوبر في كتابه البيوتبيا والعنف بان الاخير هو هندسة اجتماعية تقوم على اساس انتشار عقيدة ازالة الشرور وتحقيق وليس الخير الممكنة وبهذا فانه يعد العنف عملا غير عقلاني وان العقلانية وحدها هي البديل الانساني للعنف لان اليوتبيا تفترض تحقيق ما هو مثالي ولا تقوم على الطرق العلمية العقلانية اذ يزعم بان الاتفاق على تحقيق الاصلاح هو الطريق لازالة الشرور الاجتماعية ومنها العنف وهو ما اثبته المفكر الروسي بليخانوف عندما درس العنف في الثورات في روسيا.[٢٢]

على الرغم من أن المقدس يهيمن على الحياة الفردية و الجماعية في المجتمعات لمختلف الانتماءات الدينية لها الا انه لايخضع للتفكير العقلاني بل يخضع الى اتجاهات اجتماعية للجماعات المتصارعة حول مجموعة المصالح الدنيوية السياسية منها والاقتصادية والثقافية وتتناسب العلاقة بين العنف والمقدس المجسد من ناحية ظهورها واختفائها في حياة الفرد والجماعة و المجتمع الى ظهور وفاعلية هذه المقدسات التي تمنح عناصر البناء الاجتماعي منظومة قيمية يوتبية تعمل على التعويض عن الحرمان الذي يعانونه بتعليق اسبابه على شماعة الاخر المختلف دينيا أو طائفيا أو عرقيا فيخلق الضحية قبل أن يخلق الرغبة و الاندماج في ممارسة العنف تظهر هذه الانماط التفكيرية و السلوكية عند الشباب بشكل واضح لعجزهم عن التحكم في ظهور الانفاعلات التي تثير فيهم السلوك العنفي ض الاخر لانه يتحول الى اسطورة شانه شان المقدس الذي يشكل مع العنف المحرك الاساسي للتغيرات الاجتماعية حيث ربط مارسيل موس بين الاجتماعي والمقدس الذي جعله يضاهي الدين في حقيقته الاجتماعية فيتبنى المجتمع بالردكالية التي تنسيه المقدس نفسه الا انها تحتفظ بعنفية الشباب بشكل خاص بوصفهم الشريحة الاجتماعية الاكبر ديموغرافيا في المجتمعات التقليدية النامية ومنها مجتمعنا العراقي.[٢٣]

يرى سيجموند فرويد زعيم مدرسة التحليل النفسي ان العنف هو صورة من صور العدوان العصابي الذي يمثل بدوره احد الاستعدادات النفسية الموجودة عند بني الانسان تنشط مع التخلف وتدني المجتمعات في مستوى الرقي الحضاري اذ تمثل هذه المجتمعات حال الطبيعة (شريعة الغاب). في حين يسند ماكس فيبر العنف الى الدولة التي يعرفها بانها مشروعية ممارسة الانسان للعنف ضد اخيه الانسان. في حين يرى دوركهايم ان نوعية التضامن الاجتماعي التي تسود في المجتمعات هي صمام الامان من تفشي العنف والصراع الاجتماعي وبالتالي تفكك المجتمعات الى جزر معزولة بعضها عن بض بجدران من الطائفية والمذهبية والدينية والعرقية وغيرها من العوامل الثقافية التي تستخم في تنميط الاتجاهات الاجتماعية نحو الاخر.[٢٤]

مما لابد من ذكره في هذا المجال أن انطوان مسرة يرى أن تأسيس المقدس هو العامل الاساسي في نشات الصراعات الطائفية و المذهبية فاصطناع العدوان على المقدسات التي تسهم بشكل مباشر في تحديد الهوية الدينية و الثقافية في الكثير من الفئات الديموغرافية داخل الحياة الاجتماعية للمجتمعات هو الذي يخلق رد الفعل الوهمي فكريا والتطرف عمليا تجاه كل ما يصدر عن الاخر من اجل الحفاظ على هذه الهوزية وستمرايرية بقاء المقدس عند الفرد من خلال ارتباط هذا المقدس بيومياته او عند الجماعة من خلال ارتباط المقدس باالمحة الاجتماعية لها وبالتالي وجودها الاجتماعي.

المبحث الثاني

الاتجاهات الاجتماعية نحو المقدس

الثقافة بكلا معنييها الانثروبولوجي والعام في قطيعة مع الدين على الرغم من اعتبار المعتقدات وليس الدين احد أهم المكونات الاساسية للثقافة في المجتمعات الانسانية اذ لاتنحصر المعتقدات بالضرورة بالجانبين الديني من حياة الانسان، التي باتت مجتمعات متعددة شئنا أو ابينا. مهما كانت السمة الدينية للغالبية الديموغرافية منها. لان توحيد هذا الديني امر يكاد يكون من المستحيلات. هذا لان الاديان ما عادت واحدة بل تفرعت الى فرق وطوائف ومذاهب كلا منها يدعي وحده تمثيل الحقيقة الدينية في حين يمثل الاخرين مروقا عن اصل الدين وانحرافا عن مبادئه فيجب في احسن الاحوال اصلاحهم أو مكافحتهم بالاجتثاث أو الاستئصال تماما وهذا ما تسعى اليه الجماعات الارهابية والمتطرفة. والا لن تصلح الدنيا التي يرون بان الفساد قد عمها لحلول غضب الالهة والمقدس عليها. الهيا كان هذا المقدس ام مجسدا.

الاتجاه الاجتماعي (social attitude) هو عملية التوجيه التي يخضع لها الافراد أو الجماعات الاجتماعية أو حتى المجتمع باكمله على اساس مضمون مجموعة من الموضوعات ذات السمة الانفعالية تميل الى الدوام النسبي.

يعرف ايضا على انه الاستعداد المكتسب الذي يظهر في سلوكيات الافراد أو الجماعات بصدد تقييم أو اعادة تقييم شيء أو موضوع بطريقة تتسق مع السياقات والاليات الاجتماعية العامة. أو قد يكون تعبيرا عن قيمة أو معتقد فينطوي بذلك على التقييم الاجتماعي (سلبي او ايجابي). وهو عند هربرت سبنسر الاستعداد للفعل كامر ضروري للوصول الى الحكم الصحيح حيث يتضمن الاتجاه رؤية خاصة الى العالم ويفسر بطريقتين اساسيتين الاول منهما كما يراه اصحاب المدرسة السلوكية. بان الاتجاه هو نمط من التعليم فيمثل في هذه الحالة استعدادا أو ميلا للاستجابة بطريقة محددة ازاء احد الموضوعات الاجتماعية التي يكتسبها الافرد من محيطهم الاجتماعي بالوراثة الثقافية بمعناها الانثوبولوجي اذ تساهم هذه العملية في تحديد النظرة الى العالم او تغييرها. اما الثاني فهو ما تراه مدرسة الجشطالت على انه عملية ادراكية تحدد رؤية معينة للعالم يجمع علماء الاجتماع بين مضموني التحديدين السابقين فيرون بان الاتجاه هو المدى الذي تظهر من خلاله الاستجابة السلوكية الاجتماعية والتي تحددها الواجبات والعلاقات والاراء الاجتماعية. يمكن تغييره بكلا اتجاهي التغير الاجتماعي الايجابي والسلبي ويكون على نوعين فكري وواقعي. فقد استخدمه فلويان زينانكي لاول مرة في الدراسات الاجتماعية. فعرف الاول على انه ما يعبر عنه الفرد من خلال الفعل في حين عرف الثاني على انه التعبير بالفعل عما ينطوي عليه

ادراك الفرد أو الجماعة لموقف ما وأعتبر زينانكي ان الفكري اسمى من الواقعي كما يسمو عنده الايجابي على السلبي.[٢٥]

تحدث التحولات في الاتجاهات الاجتماعية على مختلف الاصعدة تبعا للتاثيرات الثقافية والقيمية السائدة في الجماعة او المجتمع وقد تحدث هذه التحولات على الصعيد الفردي اذ يعتمد التحول في اساس التغير الاجتماعي الفكري على اساس التحولات الواقعية التي تحدث في الحياة الاجتماعية. فتعرض الفرد الى ظروف الفقر والحرمان ومجهولية المصير بسبب الاوضاع الاقتصادية والسياسية واتجاهات الدولة نحو الموضوعات الاجتماعية التي تحتل من الاهمية لدى الساسة بحيث تعطى الاولويات الاجتماعية فتخلق رابطا اجتماعيا جديدا واقعيا بين الفرد وبين مجموعة السلوكيات الاجتماعية التي اعتادها سابقا وكانت تمثل بالنسبة له صورة من صور المقدسات الاجتماعية نحو مقدسات جديدة سواء كانت ذات طابع ديني ام اجتماعي عام فتتحدد بذلك رؤية الفرد للعالم وطبيعة المعاني الاجتماعية للمواقف والتفاعلات الاجتماعية التي تجري من حوله.

يميل الافراد الى التحولات الفكرية التي يمكن من خلالها فقط اعادة بناء الواقعي في الحياة الاجتماعية كما يعتقدون (وهو خطأ شائع) بما يتناسب مع تفسيراتهم التي تنتجها الرؤية الى العالم التي اكتسبوها أو تلك التغيرات التي حدثت فيها نتيجة تغير اتجاهاتهم الاجتماعية التي تمثل بشكل او باخر استعداداتهم لتعلم انماط جديدة من السلوك الاجتماعي وتبريرهها اجتماعيا او نتيجة ادراكاتهم لاهمية المواقف الاجتماعية الجديدة في تغير الحياة الاجتماعية نحو التخلص من المشكلات التي تسبب لهم الحرمان والفقر والكثير من المشكلات الاجتماعية تقترن بطابعها الديني الغيبي في المجتمعات التقليدية. (فيستخدم المقدس كوسيلة لتصدير المشكلات بالنسبة الى الجماعات والمجتمعات وتاجيل حلولها أو الاعتراف بها سعيا الى الحصول على المساعدة العلمية المناسبة في حلها بالنسبة الى الافراد).

نظرا لعدم فاعلية المعرفة العقلانية في مجتمعاتهم في رسم أو تحديد اتجاهاتهم الفكرية والواقعية سواء في المجتمعات المتقدمة ام في المجتمعات التقليدية. اذا تحدد هذه الاتجاهات نمط المعرفة الاجتماعية التي يسمح للفرد أو الجماعة بتقبلها وتمثلها في مستوى محدد من المعرفة الذي يكون ذا طابعا اسطوريا في الجماعات أو المجتمعات المتدينة التي تعتمد بشكل خاص في عملية توجيه حياتها الاجتماعية على علاقاتها بالغيب ومامكانية تحقيق المعجزات او اليوتبيات الدينية بمجرد تحقيق الالتزام المنشود.[٢٦]

من هنا تجد كل الحركات الجديدة والتجديدية الدينية والفكرية في الحياة الاجتماعية صداها في التقبل الاجتماعي حيث تستغل الى حد كبير عملية تسيس المقدس باسلوب ميكافلي تبرير الوسائل بالغايات المنشودة التي ستتحقق مستقبلا اذا ما وجد هذا النمط من الالتزام الاجتماعي الذي يجب ان يعم الاغلبية ان لم نقل يعم الكل.

ومما لابد من الاشارة اليه في هذه المناسبة الى الدور الذي تلعبه الهامشية الاجتماعية للفرد أو الجماعة الاجتماعية مهما كانت العوامل التي اسهمت في تهميشها ثقافية أو اقتصادية أو سياسية او دينية دورا اساسيا ومهما في تحديد الاطر الاجتماعية لمثل هذه التوجهات نحو تقبل المعارف وتمثلها أو رفضها واستبعادها كما تحدد بالضبط فاعليتها الاجتماعية في التاثير بالاتجاهات الاجتماعية العامة للمجتمع من خلال انتشار المؤمنين بهذه الاتجاهات او اتساع الرقعة الجغرافية او الحجم الديموغرافي لهذه الجماعات.(٢٧)

في الكثير من الاحيان في الوقت الراهن تجذب هذه التوجهات الاجتماعية العديد من الافراد من خارج الجماعة أو حتى من خارج المجتمعات ذاتها عندما يستغل منظموا هذه الاتجاهات ويحسنون استخدام وسائل التواصل الاليكتروني التي اتاحتها القرية الكونية. عندما يجد الافراد من الخارج مجموعة من المشتركات أو المبررات التي تعد ضمن مقدساتهم الاجتماعية أو الدينية التي لا يمكن تقبل الانحراف عنها نظرا لتطرف هؤلاء في الالتزام بمثل هذا النسق القيمي واوضح مثال على هذه الحالة ما نجده من انتماء الشباب الاوربي الساعي الى التفرد في البطولة الكونية والقوة الجبارة (انقاذ العالم) من خلال الانتماء الى الحركات الارهابية وترك اوطانهم التي تنعم بالرفاه الاجتماعي (قياسا بما يتجهون نحوه) للانضمام اليها تحت مسميات قد تاخذ الطابع الديني ك(الهجرة) أو الطابع الانساني كنشر الديموقراطية أو للحصول على مكاسب الربح الاقتصادي من ممارستهم لهواياتهم أو هوسهم وامراضهم النفسية اذ يتعاملون مع مثل هذه الحالات على انها عملية اشباع نفسي واجتماعي لحاجات مكبوتة لا يمكن اشباعها في مجتمعاتهم المنظمة كالرغبة في القتل أو الاغتصاب غير المحدود أو السبي لان مجتمعاتهم تنطوي على تعرضهم الى الروادع القانونية وفاعلية القانون في مكافحة مثل هذه الافعال فيلجأون الى المجتمعات التقليدية التي تعاني من فترات الفوضى كما حصل في العراق بعد ٢٠٠٥ او في بعض الدول العربية بعد ثورات الربيع العربي ولا يختلف افراد المجتمع عن الوافدين اليها في سعيهم المرضي الى تحقيق مثل هذه المبررات لرغباتهم الجامحة عن طريق ايجاد المبررات الثقافية الدينية وغيرها لارتكابها او الاستمرار في ذلك.(٢٨)

على الرغم من أن المقدس المسيس احد اهم مصادر الاتجاهات الاجتماعية عند الافراد والجماعات الا أن هذه العملية يجب تلتقي مع بعض المصالح الاجتماعية لبعض الافراد أو الجماعات وخصوصا المتنفذة التي باتت مثلا يحتذى ممن يكونون مستفيدين من تفشي مثل هذه الرؤية الى العالم وسيادة هذا النمط من المعاني الاجتماعية عن الافراد فيعتادونها بدورهم ويبدأون ممارستها بصورة تلقائية حتى يصبح المقدس ذاته توجها اجتماعيا فيما بعد بما يخلق سوقا دينية تحت تاثير التثاقف بالمفهوم الانكلوسكوني نظرا للندية الثافية والحضارية مع العولمة في حين تمثل هذه السوق نواتج الاختراق الثقافي لانعدام مثل

هذه الندية في المجتمعات التي تعد اليوم مستهلكة لكل ما تنتجه العولمة من غث متاح للافراد والجماعات بصورة مجانية وسمين مكلف حتى على مستوى الميزانيات الدولية الامر الذي يتطلب اعادة انتاج وتسويق المقدسات الاجتماعية لصالح تحقيق مجموعة من المصالح الوقتية لفئات ترى نفسها بان بامكانها ان تكون متنفذة في الحياة الاجتماعية اذا ما واكبت المفاجئة والسريعة في الحياة الاجتماعية.[٢٩]

فما عادت المجتمعات اليوم على دين ملوكها لشيوع فكرة ان الملوك واديانهم سبب الفساد الاجتماعي وهو ما عملت على ترسيخه الحركات الثورية في العالم اجمع وخصوصا في مجتمعاتنا العربية الاسلامية منذ العقود الاولى للقرن الماضي كما هي النظرة السائدة فيما مضى قبل ظهور العولمة الى الوجود واتاحة وسائلها لجميع افراد العالم بابخس الاثمان بل تحولت نحو نجوم هذه الوسائل سواء كانت وسائل الاتصال والتواص الحديثة الاجتماعية بالزمن الفعلي ووسائل البث عبر الاقمار الصناعي مستخدمة فاعلية الصورة والتاثير الاعلامي في نشر ما تبتغي نشره دون وجود اية امكانية للرقابة التي تهدف الى التوجيه الاجتماعي الفكري والواقعي نحو ترتيب الاولويات الاجتماعية اهميتها في حياة المجتمعات والجماعات والافراد.

لتصبح الاديان والمقدسات الاجتماعية معدة للتصدير في هذه السوق بدلا من غاياتها الاساسية التي جاءت من اجلها الا وهي التغيير. (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم)• بدءا بالذات وصولا الى العالم (لتنذر قوما ما انذر اباؤهم فهم غافلون)•• يكون فيه الفرد فاعلا في تغيير الجماعة وتكون فيه الجماعة فاعلة في تغيير المجتمع (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعرف وينهون عن المنكر)••• مستخدمة منجزات علم النفس الاجتماعي في المجال الاعلامي التي ساعدتها على توظيف النص الديني الاساسي والمقدسات الدينية و الاجتماعية لتخلق التوجهات الارجتماعية من خلال ما يؤخذ على العولمة في ميادين التعليم بمكانية استخدام وسائلها بشكل واسع في عمليات التجهيل المنظم.

المبحث الثالث

حظور المقدس في اليومي (وظائف المقدس وعلاقتها بوظائف الدين)

يعد تعريف دوركهايم للدين تعريفا كلاسيكيا لانه يعتبر الدين نظاما متضامنا من المعتقدات والممارسات المرتبطة بالاشياء المقدسة. تقوم هذه المعتقدات بتوحيد الجماعة وفق النظام الاخلاقي والرقابة الاجتماعية، التي تضمن عملية تنظيم الضبط الاجتماعي على اسس دينية الدين شانه شان اية حقيقة او ظاهرة اجتماعية كما وصفها دوركهايم يقوم بالعديد من الوظائف الاجتماعية الموضوعية والذاتية النفسية. اذ يرتبط المقدس بالدين من وجهة نظر المؤمنين به ارتباطا مباشرا. في حين أن المقدس المجسد الذي حل محل المقدس الالهي في الحياة اليومية يرتبط ارتباطا مباشرا بالتدين، الذي يعني مجموعة الصور والمشاهد الاجتماعية التي يتمثل الفرد العادي من خلالها الدين كممارسة يومية في واقع حياته

الاجتماعية. فضلا عن ان المقدس المجسد يرتبط ارتباطا مباشرا بالطقوس الدينية، التي هي عبارة عن مخترعات اجتماعية تشير الى الالتزام الديني عند الفرد ازاء المقدس المتعالي. بعد ضمان التقرب اليه من خلال وسائط التقديس في التدين الشعبي، التي تاخذ بعدها الديني عند الافراد والجماعات الاجتماعية في الريف او المدينة على حد سواء. على الرغم من ان نشاة المقدس من خلال متابعة الباحثة بالسؤال عن تاريخيته ترتبط ارتباطا مباشرا بالريف او اطراف المدينة ابتداءا. الامر الذي لا يمنع من نشوء المدن حولها لاحقا عندما تحصل عمليات التوظيف الاقتصادي والسياسي للمقدس المجسد في الحياة اليومية للمجتمعات (٣٠)

ان دراسة التدين في علم الاجتماع الديني حظيت بالكثير من الاهمية على المستوى العالمي وتاثيراتها على البناء الاجتماعي للمجتمعات والجماعات الاجتماعية. كما حظيت تعابير انماط التدين السائدة في المجتمعات البدائية منها والمتقدمة بالكثير من الاهتمام. بل وبنيت على اساسها النظريات المهمة في علم الاجتماع كنظريات نشوء المقدس في علم الاجتماع) بالنسبة الى المدرسة الفرنسية بشكل عام وعلم الاجتماع الديني بشكل خاص، منذ الاباء المؤسسين لعلم الاجتماع فكانت دراسة اميل دوركهايم الاشكال الاولية للحياة الدينية (١٩١٢) من اهم الامثلة التي يمكن أن تورد في هذا المجال. دراستنا الحالية تعتمد بشكلها الاساسي على البناء النظري للنظرية دوركهايم في دور الدين الذي يظهر في الحياة الاجتماعية من خلال صور التدين التي تبيح المباح وتحظر المحرم. فضلا عن دراسة ماكس فيبر في تاثير التدين على الدلالات الكونية عند الفرد ودورها في تحديد (رؤيته للعالم)•. تلك الرؤية التي يتوارث اجتماعيا اسسها العامة ليعيد تشكيل هذه الرؤية وفق مستجدات الحياة الاجتماعية، التي يتعايش معها يوميا اي انها تخضع للتغير الاجتماعي وللتقدم والتطور شانها شان اي من مفردات المعرفة الاجتماعية في المجتمعات التي يعيش فيها الفرد. تتحكم الجماعة الاجتماعية الاولية أو الثانوية بخصوصيتها الثقافية من خلال الثقافة الاجتماعية التي يولد او يعيش بها الفرد. على الرغم من ان دراسة المقدس حظيت بالكثير من الاهتمام في المجتمعات العربية والاسلامية على وجه التحديد ومنها مجتمعنا العراقي. الا ان معظم هذه الدراسات كان لها توجهين اساسيين هما دراسة الطقوس ونشاتها تاريخيا وابعادها الاجتماعية. او دراسة البعد الديني لعملية التقديس وعلاقته بعملية تصنيف انماط التدين بين شعبي ونخبوي، وموقف الاخير من الاول دينيا. هنالك العديد من الدراسات في هذا المجال.••

الا ان الباحثة لا تجد بدا من الاشارة الى أن دراسة الاستاذ الدكتور عبد الغني منديب• الموسومة الدين والمجتمع. دراسة سسيولوجية ميدانية للتدين لمجموعة من الجماعات الدينية لتغطية اكبر قدر ممكن من الاختلاف في عملية ممارسة الطقوس الموجهة للمقدسات المجسدة في المملكة المغربية. كانت من اهم واوسع الدراسات التي استطاعت الباحثة الحصول عليها كاهم مصدر من مصادر دراستها للعلاقة

بين المقدس واليومي في حياة الفرد العراقي دراسة ميدانية في مدينة الديوانية. لانها قامت بدراسة العلاقة بين اليومي والمقدس في حياة الفرد المغربي تجاه المقدسات المجسدة، قد اخذت الدراسة طابعها السسيو-انثروبولوجي على اساس دراسة مجموعة السلوكيات التي تضع الفرد ضمن مقياس التدين الاجتماعي بصورته الشعبية عند ممارسته للطقوس، في اطار الجماعة حيث تمارس هذه الالتزامات الاجتماعية ازاء مقدسات مجسدة. تكمن اهمية هذه الدراسة في عرضها للنظريات السسيولوجية والانثروبولوجية التي انشات على اساس دراسة الجماعات الدينية في المغرب العربي من قبل الرحالة والضباط المستعمرين والمستشرقين الفرنسيين وغيرهم. واثرها في بناء المعرفة الاجتماعية عن الدين والتدين في بلدان المغرب العربي. على الرغم من ان محورها الاساسي كانت الدراسات التي تناولت العديد من المناطق المغربية بالدراسة.[٣١]

لقد اعتمد عبد الغني منديب على ثلاثة نظريات. اولهما للانثروبولوجي الفرنسي ادوارد فسترمارك، التي اعتبرت من الدراسات الاستشراقية التي اجراها المستشرقين في عشرينيات القرن الماضي اي قبيل فترة ما يسمى بالحماية الفرنسية على المغرب، لقد عرفت مثل هذه الدراسات بالكولنيالية، اشارة الى حركة الاستعمار القديم الذي مارسته كلا من بريطانيا وفرنسا للوطن العربي والذي تم بموجبه تقسيم مناطق الوطن العربي الى مناطق نفوذ فرنسي ومناطق نفوذ بريطاني وايطالي. من اجل رسم الصورة الموضوعية للحياة الاجتماعية في المجتمعات تحت الحماية الفرنسية، لضمان اكبر قدر ممكن من عدم المقاومة عند تجنب الاصطدام بالثوابت الحياتية لعامة افراد المجتمع. بالنسبة الى المستعمر الفرنسي. تتحد فحوى النظرية في تجدد ظهور البقايا الوثنية في الاديان المتعاقبة تاريخيا في المكان من خلال عمليات تجسيد المقدس المتعالي في مقدس مجسد يتجدد تاريخيا، له حظوره اليومي في حياة الجماعة او الفرد او المجتمع على مستوى التدين الشعبي (الواقعية) بعيد عن مستوى التدين الارثوذكسي (المكتوب في النصوص المقدسة التاسيسية) النخبوي الذي يمثل الجانب (المثالي) من الدين.

ثانيهما نظرية السسيولوجي الفرنسي ادمون دوتي. المتعلقة ايضا بالبقايا الوثنية الا انها بحثت الجوانب المعرفية الاجتماعية للمعتقدات الدينية ودورها في تشكيل العقلية الاجتماعية في المغرب. من خلال اعتماد عملية تشكيل العقلية المجتمعية على ما يسميه دوتي بالعقلية الدينية حيث ينظر الى ان الاديان المتعاقبة تعمل على التحويل الديني للمعتقدات القديمة. اكثر من اعتمادها على ايجاد المعتقدات الحديثة التي تتلائم مع مختلف الاحتياجات الاجتماعية للمجتمعات المنظوية تحت لواء هذا الدين في اوج فترات انتشاره في مجتمعات متعددة خارج اطار البيئة الاجتماعية التي ظهر فيها. فتسمى العملية التي يمكن ان يظهر من خلالها استثمار المقدسات القديمة التي تعود الى الاديان الوثنية ضمن الاطار الاسلامي بعملية اسلمة المقدس التي تحدث في اطار الممارسة الاجتماعية المعتادة في هذه المجتمعات

بعد ان تضفى عليها القدسية الاسلامية من خلال نسبتها الى المقدسات الالهية او المجسدة الاعلى في التراتبية الدينية للمقدسات. على اعتبار ان المجتمع المغربي من المجتمعات الشرقية الاسلامية العربية المتدينة. وتقع هذه النظرية ضمن الاتجاه الثاني للدراسات الكولنيالية. وقد شكل دوتي مع العديد من الباحثين في هذا الميدان المدرسة الكولنيالية فقد تناول نسق اسلمة المعتقدات القديمة بما فيها تناول ادوارد مونتي اعبادة الاولياء بين الارث الوطني والحماس الديني.•

في حين تناول هنري باصي في دراسته للصراع بين المعتقدات القديمة والحديثة حيث قام بجمع عدد كبير جدا من الاساطير والمعتقدات، المرتبطة ببعض الكهوف والمغارات التي ادت الى اعتقاد الناس بقدسية هذه الاماكن. الامر الذي جعل منها اماكن مقدسة تمارس فيها الطقوس وان كانت بالصبغة الاسلامية. فالاعتقاد بقدرة الجن الصالحين الذين ورد ذكرهم في القران الكريم بشفاء المرضى بالامراض المستعصية ومحاولات استشراف المستقبل وجلب الحظ وتجنب سوء الطالع وغيرها هو ما عزز الحاجة الاجتماعية الى تجسيد هذه المقدسات واضفاء طابع القدسية عليها. تركز من خلال فاعليتها الاجتماعية من خلال الاختلاف بين الطقوس التي تقام من اجل اضفاء القدسية على المقدس المجسد وعلاقتها بالشعائر المفروضة في اصل الدين من خلال النص التاسيسي المقدس المرتبط مباشرة بالالهي.••

اما اميل لاوست فقد تناول بالدراسة الاصول الاجتماعية التاريخية للممارسات والطقوس الموجهة نحو المقدسات المجسدة المتوارثة ودورها في تعزيز الاتجاه الديني نحو تلبية الاحتياجات الدينية عند المتدينين. الذين يعمل غالبيتهم بالزراعة الامر الذي دفعة الى اطلاق تسمية (روح الحقل) على دراسته. لانها تكاد تكون خاصة بالقرووين كطقوس التضحية والاستسقاء لقد تناول بالدراسة والتحليل السمة القبائلية في جوانب الحياة الاجتماعية للمجتمع المدروس.•*

اما بالنسبة الى الفريد بيل الذي اعتبر جاك بيرك كتابه الذي درس به التداخل بين المعتقدات الدينية متجاوز معرفيا. على الرغم مما احدثه من تاثيرات كبيرة في سلوكيات ضباط الاحتلال الذين تخصصوا بحكم المناطق التي استقروا فيها. او ما يطلق عليهم ضباط الشؤون الاهلية. من خلال دراسة تاثير الخصوصية الثقافية والمجتمعية في التركيب الديني، وتاثير البيئة الاجتماعية الريفية والمدينية على التطبيقات الاجتماعية للشعائر المفروضة في النصوص الدينية التاسيسية التي بدات بالاختفاء، لتحل الطقوس الريفية محلها شيأ فشيأ نظرا لتريف المدينة العربية بعد سيادة الطابع القبلي الزراعي على مستوى الانتاج ووسائل الانتاج وتخلف الصناعات في المجتمعات العربية وعدم تبلور السمة الحضرية في المدينة واضمحلال الحدود بين الريف والمدينة نتيجة قوة العلاقات الاجتماعية التي توفرها قوة التماسك الاجتماعي في الجماعات القبلية.[٣٢] فيرى ان التحول بالتركيب الديني حدث نتيجة تعلم رجال القبائل

الدين من المدينة ليعودوا بممارسته ممارسة ريفية قبلية خارجها لتقاطع التوجهات الدينية الجديدة مع الاصول التي تعلموا منها ويضرب مثلا ذلك تعدد الطرق الصوفية التي سمي اتباعها بالاولياء.•

بالاعتماد على دراسة التاريخ الديني للمجتمعات حاول جورج دراك بدراسته التاريخ الديني للمغرب التعرف على كافة الحركات الدينية التي عرفها المغرب خلال القرون الثلاثة عشرة الماضية (اي منذ ظهور الاسلام). فتوصل الى ان الاديان لا يمكن ان تطبق بصورتها الارثوذكسية. عندما تنتقل من مجتمع الى اخر. بل ان الاختلافات في التطبيق الديني سوف تتناسب طرديا مع البعد الجغرافي بين مجتمع الاصل الذي ظهر به الدين والمجتمع المتلقي له. اذ يتم هذا التلقي على اساس من توافق مجموعة من المصالح الدينية والسياسية للمجموعات القبلية الموجودة في المجتمع. مع التعاليم الدينية التي جاءت لتغير واقع اجتماعي تضررت منه بعض القبائل، التي سبقت الى الانضمام الى هذا الدين قبل غيرها. بالتالي زاد هذا الامر من سرعة وفاعلية عملية الانتشار للدين الجديد في المجتمع الجديد. فضلا عن ان العصبية القبلية التي يوفرها الدين الوافد للقبائل التي تسعى الى استعادة امجادها في ظل ضعف وتفكك الحضارة كما يراه ابن خلدون نتيجة الترف وتفكك العصبية القديمة التي نشات عليها هذه الحضارة في دراسته للدورة التاريخية للحضارات ••

اما بالنسبة الى اميل درمنغن الذي يرى بان العوامل الاجتماعية التي تساهم في استمرارية المقدس المجسد، المتمثل بالاضرحة في المجتمع المغربي بين الاديان المختلفة المتعاقبة او بين التوجهات الدينية على مجتمع، او حتى مخترقة للاصلاحات الدينية التي تجري في مجتمع ما، او مكان ما يعود بالدرجة الاساس الى عاملين اساسيين هما. اولا انها تشكل خزانا لا ينضب للقداسة السماوية. اي يمكن ان تنسب قدسية هذه المجسدات الرمزية الى مختلف الاديان عن طريق رواية الاساطير عنها. ثانيهما لانها تشكل حاجة اجتماعية عامة للافراد، او الجماعة او المجتمع. فقد تفقد لبعض الوقت فاعليتها الاجتماعية الا انها تعود الى الظهور مع اول فرصة او تراخي في عمليات التطبيق الديني للشريعة الجديدة. لاي سبب من الاسباب التي غالبا ما تكون اسبابا سياسية كضعف السلطة المركزية.

يضع جاك بيرك بدراسته للوظيفة الاجتماعية للظاهرة القدسية حدا نهائيا لمقولة البقايا الوثنية للمقدسات الرمزية المجسدة في الاديان السماوية بشكل خاص في المغرب العربي الاسلامي. من خلال مساواته بين الظاهرة القدسية والظاهرة الدينية بوصف كلاهما حقيقة اجتماعية. بالرغم من انه عمل على التمييز بين انواع المقدس على اساس المقدس المجسد، او الارضي الذي ينتمي الى الحياة الاجتماعية، بما تكتنفه من موروث شعبي يضم عملية ممارسة الطقوس التي لا تجد لها اصلا دينيا. بما يخلق نوعا من التواصل من اجل التوسط بين الانسان الحي والالهة. واخر مقدس ديني الهي خاص بالديانة الجديدة، او الوافدة او حتى خاص بالطريقة الارثوذكسية في الاديان. يقوم على ممارسة الشعائر الدينية المفروضة

في اصل الدين بما يخلق التواصل المباشر مع الالهة. فعلى الرغم من ان بيرك وضع العديد من الانتقادات للتوجهات المعرفية لسابقيه. الا ان النتائج الاخيرة التي توصل اليها لم تحد كثيرا عن تلك التي توصلوا اليها من استمرارية التقديس وفاعلية المقدسات عبر مختلف الاديان الا في عدم ربط سابقيه لنتائج دراساتهم التي اخذت طابع التعميم بخصوصية المجتمع المغربي.

من اهم ملاحظات جاك بيرك التي لا بد من الاشارة اليها في هذا المجال هي ان الطقوس والمعتقدات التي تمارس للمقدسات المجسدة لها ارتباط مباشر بمفردات الحياة اليومية للفرد والجماعة والمجتمع الامر الذي يعطيها فاعليتها الاجتماعية واستمراريتها كونها طقوس معتقدات تيمنية تدفع بالمقدس لان يكون واسطة فاعلة مع الالهي المقدس المتعالي اي ان الوظيفة الاجتماعية لهذه المقدسات في الحياة اليومية هو الذي اسهم بشكل مباشر في بقائها وفاعليتها الاجتماعية مما اكسبها سمتها الدينية. وان لم تكن تنتمي الى الدين ذاته لا من قريب ولا من بعيد. بالعودة الى نتائج العمل الميدانب لعبد الغني منديب فنحد يصنف نتائج دراسته على اساس اهميتها في تبرير التدين الاسلامي فيتطرق الى رؤية العالم عند الملسمين من المغاربة ومقاصدهم من تقديس المجسدات الرمزية بالاسس والمبادي الفكرية الاسلامية من خلال تفصيل شروحات مضامينها الى ثلاثة فواعل اجتماعية هي اولا الحظور المشارك لله في الحياة اليومية وثانيهما اقرار الملسمين بان الحكمة الالهية اقتضت بان تكون الدنيا مجالا للتفاوت والتغير وثالثهما بان صلاح العبد العابد منفردا او ضمن اطار الجماعة هو الطاري الاهم في تحقيقه لحاجاته الاجتماعية والذاتية.

اما بالنسبة الى الممارسات اليومية ذات الطابع الديني المقدس فيقسمها الاستاذ الدكتور عبد الغني منديب بين الكوني والمحلي اي بين الغائية الدينية واليومية التطبيقية المعاشة كتصنيف زماني شمل كلا من العرضي والموسمي والدوري الذي يمكن استحضاره من الذاكرة في اي يوم تضهر فيه الحاجة اليه فضلا عن اليومي في حين صنف ابعادها الاجتماعية على اساس ما يمكن ان تؤديه من وظيفة اجتماعية للفرد والجماعة والمجتمع فحصرها بالوظائف الاجتماعية للدين التي تكمن في جدلية القلق والطمأنينة والية تبرير التوترات الناتجة عن الموت او ترقبه ودور الطهارة الدينية في الابتعاد عن المدنس قدر الامكان من اجل الاقتراب من المقدس وصولا الى بيان هشاشة الحدود بين الديني والسحر في التدين الشعبي.

ويمكن حصر اهم الممارسات القدسية للافراد والجماعات والمجتمعات العربية الاسلامكية الشرقية التي تعد مجتمعات متدينة بمجموعة من الانماط السلوكية الاجتماعية الفعلية واللفضية التي تستخدم للتيمن والاستغفار والتوكل والدعاء والصلاة التي تعد من النوافل المضاف الى الصلاة المفروضة (الفرائض الخمس) والنوافل التي مورست في صدر الاسلام قبل ظهور فاعلية المقدس المجسد حيث يمكن حصرها في فترة الخلفاء الراشدين. فتكون وفق تصنيف الاستاذ منديب مع مراعاة خصوصية المجتمع في

مدينة الديوانية خصوصا والعراق عموما بالنسبة الى الممارسات التي يمكن ان تمارس بشكل يومي منتظم كالاتي :-

١- البسملة عند البدء باي شيء كلازمة تيمنية بزيادة البركات والخيرات كما ونوعا ووقائية من الشرور غير المتوقعة عن طريق طرد الشياطين والجن وتجنب اصابة الاحباب بالحسد كما تشكل باطارها العام الهوية الاسلامية لكل المسليمين على حد سواء

٢- الحمدلة الاعتراف غير المشروط للذات الالهية با كل ما يصدر عنها نعمة توجب الحمد حتى في الجوانب السلبية (الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه)

٣- الاستغفار الاقرار بالذنوب بغية استحقاق المغفرة وهي تشبه الى حد كبير ما تمارسه المسيحية التي تشترط المغفرةو بالاقرار الدوري للذنوب في حياة الفرد لكي يتجنب اتيانها او تكرارها في حياته

٤- التوبة التعهد بالسعي الحثيث والجاد الى المسارعة في ارتكاب الخيرات التي توجب الرحمة وتجنب ارتكاب الذنوب التي توجب السخط وهي اشارة لبداية جديدة موجودة في المفغهوم الاسلامي القديم (الاسلام يجب ما قبله)

٥- الدعاء وهو على ثلاثة غايات اساسية هي :-

أ- طلب تلبية الاحتياجات اليومية من الرزق الى شفاء الامراض او اتقاء الشرور الارضية

ب- قبول التوبة والحصول على فرصة جديدة من خلال المغفرة كاستجابة الهية

ت- التواصل مع الذات الالهية من خلال الاعتقاد بحب سماعها الدعاء من المؤمنين المخلصين

٦- اللعنة هو اعلان البراءة من مرتكب الذنوب والمعاصي التي توجب غض١ب الالهة وسخطها عن طريق ترجي نزول النقمة والغضب الالهي على الاعداء والمنافسين الذين يهددون المصالح الدنيوية والدينية للفرد والجماعة والمجتمع او حصر هذه النقمة بافراد وجماعات محددة تجنبا لحكمة يتضمنها الموروث الشعبي (الخير يخص والشر يعم) بالاستناد الى نمط شائع من الدعاء (اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا)

٧- الصلاة هي طريقة الاتصال المباشر بين المقدس بشطريه الالهي والمجسد وهي على عدة انواع وكما ياتي

أ- الصلاة المفروضة صلة الوصل بين العابد وخالقه

ب- صلاة النوافل توكيد الالتزام والطمع بويادة الخيرات والحسنات كضمان لقبول الدعوات ومنها الصلاة عند الكوارث والامور الطبيعية الخارقة او ما يسمى بصلاة الايات

ت- الصلاة عند الاضرحة (صلاة الزيارة) التواصل المزدوج مع نمطي المقدس الالهي والمجسد

ث- الصلاة كهدية للوالدين الاموات او الاحياء الاخرين ايضا

٨- رش المياة في الصباح الباكر امام الابواب في البيوت والمحلات التجارية خصوصا لجلب الرزق او خلف المسافر لضمان العودة سالما او في مكان صاحب العين الحاسدة لتنبريدها واتقاء شر حسدها او في بعض الوجوه المشؤمة لتوقي ما تبشر به من شرور

٩- التيمن اي تحبيب استخدام كل ما يقع على جهة اليمين ابتداء من اجزاء الجسم وانتهاء بتوزيع المجالس على اساس المكانة الاجتماعية اذ يشير الى التواضع اذ يعد اليسار او الشمال والذي يعرف بالعامية العراقية في مدينة الديوانية بالغربي نوعا من التعالي فيترك المكان للاشخاص ذوي المكانات الاجتماعية العالية بما فيهم السادة وهم من ينتسبون الى نسل الرسول الكريم(ص)

١٠- الاتجاه نحو القبلة في كل شيء الا في وضع الراس عند النوم لانه يمثل نوم الاموات في القبور وعند قضاء الحاجة فيراعي جميع المسلمين تقريبا ذلك ويعد من اساسيات البناء عند صاحب المنزل او العاملين فيه

١١- تقديم صدقة يومية بسيطة تكاد تكون غير منظورة او مؤثرة في اقتصاديات الفرد من العملات الصغيرة استعطافا للمقدس

١٢- وضع الصور او التمائم والحرز والاشياء التي تشير الى وظائف المقدس في جلب المنافع واتقاء الشرور

١٣- تخصيص جزء محدد من الواردات او الممتلكات للمقدس يوميا او تسميتها باسمه كجزء مهم للحفاظ عليها من السرقة او عدم القدرة على التنازل عن مقابلها تماما كنمط شائع من المجاملة الاجتماعية في مجتمع مدينة الديوانية بعد التعريض امام الاخرين بوجود حصة يويمية ثابتة للمقدس•

المبحث الرابع

الاستنتاجات

١- ان اهم سمات العلاقة بين المقدس والحياة اليومية للفرد في المجتمع العراقي تظهر من خلال اعتماده على المقدس في تلبية العديد من الاحتياجات التي فشل التنظيم الاجتماعي في توفيرها له كالضمان الصحي و الاجتماعي فلا الرزق ولا العافية مضمونة ما لم يتدخل المقدس نظرا لارتفاع تكاليفها في حياة الفرد العراقي وانعدام قدرة ذوي الدخل المحدود على تلبية مثل هذه الاحتياجات بالطرق العقلانية المتوافرة في المجتمعات الاخرى وبالنظر الى ان هذه الفئة تشكل اكبر فئات المجتمع بالعراقي ديموغرافيا فقد اصبحت مجموعة العادات الاجتماعية بتوالي التقادم التاريخي لها قيما لا يمكن تجاوزها بنسبتها الى القيم الدينية

٢- ان ارتباط مجموعة المصالح الاقتصادية بالدرجة الاساس لفئة اجتماعية لاباس بها من ناحية الحجم الديموغرافي هو الذي امن عملية تشجيع هذه الممارسات وتامين الدعم لها والاعلان عن امكانات المقدس

الذي تنفق على بنائه وملحقاته المبالغ الطائلة واللتيث تشاع على انمها من النذور التي كانت حصيلة كرامات بواعمال خارقة قام بها المقدس فعلا للافراد بما يجعل عملية الايمان بمثل هذه الحالات امرا مسلما مفروغا منه

٣- ان تاثير المقدس في يوميات الفرد العراقي يستند بالدرجة الاساس الى تاثيره في الحياة الثقافية بالمعنى الانثروبولوجي للثقافة فيشكل جزءا اساسيا من عملية التطبيع الثقافي للفرد كما انه يكون عصيا على التغيير وذلك لاحتلاله المكانة المركزية في نسق القيم الاجتماعية التي يتالف منها البناء الاجتماعي للجماعات في المجتمع العرؤاقفي بشكطل عام لذا فالمقدس يساهم بشكل او باخر في عملية التغير الثقافي بتغيره للحفاظ على ما يحضى به من احترام اجتماعي او بتحديد اتجاهات التغير الثقافي في اطر معينة

٤- ان الثقافة (المعرفة) الدينية للأفراد في المجتمع العراقي تعتمد بشكل اساسي على التناقل الشفاهي فلم تعمل الة اليوم لا الدولة و المؤسسة الدينية على ترسيخ ثقافة قائمة.

المصادر

المصادر والمراجع

١. الاية ١١٠ الكهف
٢. • الاية ٦ سورة يس
٣. الاية ١١ سورة الرعد
٤. الاية ١٩٧ البقرة
٥. الاية ٣٢ الحج
٦. ••• الاية ١٠٤ سورة ال عمران
٧. افراح جاسم محمد العنف الاسري ضد الزوجة اطروحة دكتوراة غير منشورة كلسية الاداب جامعة بغداد ٢٠٠٧
٨. انسام محمد الاسعد معجم مصطلحات علم الاجتماع دار ومكتبة الهلال بيروت ٢٠١١
٩. اوليفيية روا الجهل المقدس ترجمة صلاح الاشمر دار الساقي بيروت ٢٠١٢
١٠. حافض الاسود الانثروبولوجيا الرمزية منشأة المعارف الاسكندرية ٢٠٠٢ وينظر شيماء محمود كاظم الطقوس الشعبية في الكرادة رسالة ماجستير غير منشورة جامعة بغداد كلية الاداب ٢٠١٢
١١. الدكتور صلاح كاظم جابر محاضرات في علم الاجتماع الديني القيت على طلبة الدراسات العليا الفصل الاول غير منشورة ٢٠١٦
١٢. زينب عبدالله محمد دور البيئة المدرسية في سلوك العنف رسالة ماجستير غير منشورة كلية الاداب جامعة بغداد ٢٠٠٥
١٣. سابينو اكوافيفا وانزو باتشي علم الاجتماع الديني ترجمة عز الدين عناية دار الكلمة الامارات ٢٠١١

١٤.صلاح كاظم جابر علم الاجتماع الديني ملزمة منهجية غير منشورة لطلبة المرحلة الرابعة في قسم علم الاجتماع في كلية الاداب جامعة القادسية ٢٠١٦
١٥.محمد عاطف غيث قاموس علم الاجتماع
١٦.مراد وهبة العنف والمقدس سلسلة قضايا العصر الكتاب الثاني دار الثقافة القاهرة ١٩٩٦
١٧.مهتدي رضا عباس سسيولوجيا التدين الشعبي رسالة ماجستير غير منشورة كلية الاداب جامعة القادسية ٢٠١٥
١٨.واثق غازي الدين واحتكار الحقيقة مؤسسة الانتشار العربي بيروت ٢٠٠٩

الهوامش

١. جمال الدين أبن منظور : لسان العرب ، المجلد السابع ، (بيروت ، دار احياء التراث العربي) ، ط، ٣ ، ١٩٩٩، ص ٢٠٢
٢. معن زيادة الموسوعة الفلسفية العربية ، معهد الأنماء العربي ، م ٣ ، ١٩٨٨ ، ص ٣٠٦
٣. سليم شاكر مصطفى : قاموس ألانثروبولوجيا ، جامعة الكويت ، ١٩٨١ ، ص ١٨٨
٤. محمد علي توفيق ، يوسف جليل الزعبي : المعجم الوافي في أدوات النحو العربي ، طبعة دار ألامل ، ١٩٣٠ ، ص١٤٦
٥. طوني بنيت ، لورانس غروسبيرغ ميغان موريس مفاتيح اصطلاحية جديدة مصطلحات الثقافة والمجتمع ، ترجمة ، سعيد الغانمي ، (بيروت ، المنظمة العربية للترجمة) ، ٢٠١٠ ، ص ٢٧١
٦. جان فرنسوا دورتيه : معجم العلوم الانسانية ، ترجمة، جورج كتورة ، (مجد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع)، ط٦١ ، ، ٢٠٠٩ ، ص٢٠٧
٧. أبن منظور : لسان العرب ، م٣ (القاهرة ، دار الحديث)، ٢٠١٣ ، ص ١٨٨
٨. جان فرنسوا دورتيه : معجم العلوم لإنسانية ، المصدر نفسة ، ص٧٩٩
٩. طوني بنيت ، لورانس غروسبيرغ ميغان موريس : مفاتيح اصطلاحية جديدة مصطلحات الثقافة والمجتمع ، ترجمة ، سعيد الغانمي ، (بيروت ، المنظمة العربية للترجمة) ، ٢٠١٠ ، ص ٥٩٩
١٠.سابينو اكوافيفا وانزو باتشي: علم الاجتماع الديني ترجمة عز الدين عناية دار الكلمة الامارات ٢٠١١ ص ١٤٠-١٤٤
١١.انسام محمد الاسعد: معجم مصطلحات علم الاجتماع ، دار ومكتبة الهلال بيروت ٢٠١١ ص١٥٥
١٢.واثق غازي: الدين واحتكار الحقيقة مؤسسة الانتشار العربي بيروت ٢٠٠٩ ص ٢٨-٤٠
١٣.الدكتور صلاح كاظم جابر: محاضرات في علم الاجتماع الديني القيت على طلبة الدراسات العليا الفصل الاول غير منشورة ٢٠١٦ ص٢٣
١٤.مهتدي رضا عباس : سسيولوجيا التدين الشعبي رسالة ماجستير غير منشورة كلية الاداب جامعة القادسية ٢٠١٥، ص٦٨
- الاية ١٩٧ البقرة
١٥.سابينو اكوافيفا: مصدر سابق، ص١٤٢
- الاية ١١٠ الكهف

١٦.رينية جيرار،: العنف والمقدس، ترجمة، سميرة ريشا، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٩ ، ص٤٣٣

١٧.مهتدي رضا عباس : مصدر سابق ، ص ٧٦

- الاية ٣٢ الحج

١٨.حافض الاسود : الانثروبولوجيا الرمزية ،(الاسكندرية، منشا المعارف) ،٢٠٠٢ ص ١٤٤ وينظر شيماء محمود كاظم الطقوس الشعبية في الكرادة رسالة ماجستير غير منشورة جامعة بغداد كلية الاداب ٢٠١٢ ص١٠- ١٢

١٩.المصادر اعلاه نفسها

٢٠.افراح جاسم محمد: العنف الاسري ضد الزوجة اطروحة دكتوراة غير منشورة كلسية الاداب جامعة بغداد ٢٠٠٧ ص٨-١٠

٢١.زينب عبدالله محمد: دور البيئة المدرسية في سلوك العنف رسالة ماجستير غير منشورة كلية الاداب جامعة بغداد ٢٠٠٥ ص ١٥

٢٢.مراد وهبة :العنف والمقدس سلسلة قضايا العصر الكتاب الثاني دار الثقافة القاهرة ، ١٩٩٦، ص ٧-١٢

٢٣.رضا بركوع الشباب: والعنف والمقدس، نقلا عن المصدر السابق ص ١٦-٢٢

٢٤.منى ابو سنة :ديالكتك ،العنف والمقدس المصدر نفسه ص ٨١-١٠٥

٢٥.محمد عاطف غيث، قاموس علم ألاجتماع، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع)، ٢٠٠٦ ، ص ٣٠-٣١

٢٦.اوليفيية روا: الجهل المقدس، ترجمة ، صلاح الاشمر (بيروت، دار الساقي)٢٠١٢ ، ص ٢٣-٤٦

٢٧.المصدر نفسه

٢٨.المصدر السابق ، ص ٤٦

٢٩.المصدر نفسه، ص ٢٤٧-٢٦٣

- الاية ١١ سورة الرعد
- الاية ٦ سورة يس

••• الاية ١٠٤ سورة ال عمران

٣٠.صلاح كاظم جابر: علم الاجتماع الديني ملزمة منهجية غير منشورة لطلبة المرحلة الرابعة في قسم علم الاجتماع في كلية الآداب جامعة القادسية ٢٠١٦، ص٢٥

• يعد مفهوم رؤية العالم (World view) الذي يشير الى التصور العام للوجود الذي يحكم تحرك الفاعلين الاجتماعيين. اذ يعد مفهوما فيبري الاصل يتبلور معناه داخل المعتقدات الدينية اذ يشير ايضا الى الدور الذي تلعبه مجموعة المعتقدات والتصورات والادراكات والمواقف الطبيعية ازاء الكون. وكل المعاني التي تنطوي عليها مكونات الثقافة بمعناها الانثروبولوجي والتي تعمل مجتمعة على تحديد الموقف من الطبيعة والمجتمع من خلال قيامها بتشكيل او اعادة تشكيل الدلالات المنطقية بالقياس الاجتماعي وليس العلمي التي تفسر موقع الانسان من الكون اذ تعتمد هذه الدلالات بشكل اساسي على الفهم الرمزي غير الممنهج الذي ينبع من الحس الاجتماعي المشترك في يوميات الفرد او الجماعة او المجتمع ككل دون خصوصية لاي منهما على حساب الاخر.

•• ينظر مهتدي رضا عباس سسيولوجيا التدين الشعبي طقوس عاشوراء رسالة ماجستير غير منشورة كلية الاداب جامعة القادسية ٢٠١٥ وايضا مجالس الملايات رسالة ماجستير غير منشورة كلية الاداب جامعة بغداد وغيرها الكثير من الرسال والاطاريح في قسم علم الاجتماع وقسم الانثروبولوجيا التطبيقة في الجامعة المستنصرية وقسم الخدمة الاجتنماعية في كلية التربية بنات في جامعة بغداد

• الاستاذ الدكتور عبد الغني منديب استاذ الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع في جامعة الملك محمد الخامس بالرباط (الدين والمجتمع دراسة سسيولوجية للتدين بالمغرب مؤسسة افريقيا الشرق الدار البيضاء ٢٠٠٦

(٣٢) عبد الغني منديب: الدين والمجتمع، مؤسسة افريقيا الشرق الدار البيضاء ٢٠٠٦ (يمكن الحصول على هذا الكتاب بصيغة (PDF) بصورة مجانية من الشبكة المعلوماتية

• خير مثال يمكن ان يطلق على عملية اسلمة المقدس الموجود في الموروث الوثني في الاسلام والخاص بمجتمعات المشرق العربي متمثلا بمجتمعنا العراقي الاسلامي هو عيد النوروز (سومري الاصل) الذي اخذ طابعه المقدس من خلال التسمية والممارسات والتيمن به فسمي بـ(الدخول) والذي يعد من الاعياد الدينية الاسلامية الذي تقام فيه الصلوات وبعض الممارسات الطقوسية.

• يغلب الاعتقاد في التدين الشعبي العراقي بان الملائكة الذين يحيطون لا يسكون برمز مجسد فعلا هم الذين يمكن ان يؤدوا الواجبات التي يقوم بها الجن في المجتمع المغربي وذلك لتواث الخوف المرضي من الجن عند العراقيين الذين يعتقدون ان كل الجن غير صالحين ولا يمكن ان تخرج منهم الاعمال الصالحة الا عرضيا على خلاف الملائكة الذين لا يمكن ان تخرج منهم غير الاعمال والنتائج الصالحة

*• وهنا ايضا يمكن الاشارة الى اهم نقطة في تاريخية نشوء المقدس ان جميع المقدسات عند دراسة نشؤها التاريخي نجد انها نشات في مجتمعات قروية قبائلية تعتمد في حياتها على العمل الزراعي بصورة مباشرة واساسية على الرغم من نشوء بعض المدن المتريفة حول بعض هذه المقدسات التي تحتل اهمية دينية عظيمة نظرا لقربها من المقدس الالهي بصورة مباشرة او غير مباشرة حتى انه في محافظة ذي قار والتي تعد من المحافظات الزراعية هنالك جرار من نوع (عنتر ٧٠) عراقي الصنع يحظى بالتقديس وتمارس له الطقوس وتهدى له النذور من خلال ربط خرقة او مجموعة من الخرق التي تمثل الحاجات المطلوب قضائها منه نظرا لقيمته القدسية التي ربما ارتبطت بصاحبة وما يحتله من مكانة دينية ويمكن الاطلاع على هذا المقدس المجسد ومنجزاته الدينية الاعجازية التي يشهد بها الكثيرين ممن تحققت فعلا حاجياتهم بعد ان نذروا لله عنده كما يدعون من خلال صوره على الشبكة المعلوماتية فضلا عن تقديس الاشجار كشجرة السدر (النبك).

(١) ينظر عوامل نشوء المدن في علم الاجتماع الحضري

• لم يستخدم ضباط الاحتلال البريطاني في العراق مثلا هذه الدراسات في التعامل مع افراد العشائر العراقية التي تسكن الريف وامتداداتها المدنية الا انهم ركزوا على بلورة الصيغة الحضرية في المدينة من خلال فرض القوانين والضرائب والرسوم والغرامات الارتجالية التي تفرض على الافراد لعدم التزامهم بمجموعة من الانماط السلوكية الحضرية وما زال اهل الديوانية مثلا يذكرون مثل هذه الممارسات بحقهم في تاريخهم الشفاهي في حين تطرق العلامة الوردي الى البعض منها في كتابه لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث. فـ(ديلي) احد الضباط الذين كانو يهتمون بالشؤون الاهلية كان له الاثر المهم في اضفاء الطابع المديني على الحياة الحضرية في مدينة الديوانية لفرضه على الفلاحين لبس الاحذية عند دخول المدينة او عدم قضاء الحاجة في الشوارع وبخلافه يتعرض المخالف لغرامة (دينار واحد بالنسبة الى الفرد من العامة

ودينارات بالنسبة الى السادة الذين ينسبون الى نسل الرسول الكريم(ص) كانت باهضة في حينها لانتشار الفقر في المجتمع العراقي (من الموروث الشعبي).

•• يعد من البديهيات الواضحة عند جميع من ارخوا للفتوحات الاسلامية الذين مال فتئوا يبينون ان سر النجاح المنقطع النظير للفتوحات الاسلامية هو رغبة سكان المجتمعات المفتوحة بالعدالة الاسلامية على حساب ما يتعرضون له من ظلم وجور في كنف دولهم السابقة على الاسلام فيسارعون الى مساعدة المسلمين للتخلص من جور حكامهم ورفع المعاناة.

• وغيرها الكثير من الافعال والممارسات التي تتحدد على اساس الثقافة الفرعية ريفية او حضرية او حتى بدوية تنحصر في اطار الثقافة الاجتماعية العامة لجماعة المسلمين الذين يشكلون الغالبية المطلقة لافراد مجتمع مدينة الديوانية حيث يشاركهم في هذه الحياة الاجتماعية الصابئة بعد رحيل او ابعاد الديانات الاخرى نتيجة مجموعة من الاوضاع الاجتماعية القلقة بالنسبة الى المسيحيين والقرارات السياسية بالنسبة الى اليهود سابقا. وللصابة العض من المقدسات اليومية والموسمية و العرضية ذكرت بالتفاصيل في الدراسات الاجتاماعية التي تناولت هذه الفئة الاجتماعية من المنظور الديني. فيما لم تستطع الباحثة الحصول على اي مصدر حول المقدسات اليومية عند المسيحين او اليهود العراقيين الذين ينتمون سابقا الى مدينة الديوانية بل توصلت الى مجموعة من الدراسات ذات العمومية التي تشمل جميع المذاهب والطوائف المسيحية واليهودية دون تمييز او خصوصية. لا يختلف السنة عن الشيعة في مدين الديوانية كثيرا في مثل هذه الممارسات اذ ان شيوع الاساطير الشعبية ازاء الحاجة الى اقناع الاخرين باهمية الاحترام والتعايش يدفع بهم في احيان كثيرة الى ارتكاب الممارسات والافعال ذاتها. اما بالنسبة الى الممارسات الموسمية فتشمل مواسم الاعياد والاحتفالات الدينية والاحتفاء بوفيات النبي والائمة والاولياء ومواليدهم وبالعائدين من العمرة وبعض الاشهر المقدسة كرمضان. في حين تنطوي الممارسات والافعال الاجتماعية العرضية على زيارة الاضرحة عند توافر الرغبة ووقت الفراغ او الحاجة الماسة الملحة او ازدياد وطأة الامراض التي تسببها المعاناة من عدم الشفاء حتى مع مراجعة الاطباء او حتى في الكثير من الاحيان تستخدم للتوكل لمراجعة الاطباء لجعل النتائج اخف وطأة على الفرد وكذلك لاداء اليمين او التشديد بالالتزام بالعهود والمواثيق ومن الطريف ان الكثيرين مكمن يحاولون التوقف عن التدخين يفعلون ذلك عن طريق الدخالة عند المقدس المجسد لمساعدتهم وتقوية ارادتهم على اتمام هذا الفعل. الاستشارات الدينية بخصوص المسائل المتعلقة بالحياة الاجتماعية وبالعلاقات والتفاعلات الحالية والماضية مع الاخرين وموقف الدين منها يمون ذلك في الكثير من الاحيان عن طريق استشارة رجال الدين الموجودين في محيط المقدس المجسد وفي احيان اخرى ذاتيا عن طريق النوم داخل حضرة هذا المقدس من اجل الوصول الى حلم او كما يسمى بالعامية طيف تمثل رؤيا تفسير الاجابة المباشرة من المقدس حول موضوع المشكلة. واخيرا تعد عملية الزيارة والتواصل مع المقدس المجسد بشكل خاص اهم وسائل الترفيه والترويح وخصوصا العائلي التي تجلب القبول الاجتماعي وسمة التدين على الفرد وبالتالي سمو المكانة الاجتماعية والثقة من جانب الاخرين وهنالك بعض المقدسات العرضية التي ترتبط بشكل ما بعملية انتقال الانسان الى جوار المقدس الالهي فتتطلب مجموعة من الممارسات الاجتماعية التي لا يمكن التغاضي عنها باي شكل من الاشكال اذ يحتل الانسان في هذه الحالة منزلة المقدس المجسد بسبب انتقاله الى جوار ربه وهو ما يسميه الاستاذ الدكتور عبد الغني منديب بالية افراغ التوترات التي تحدث نتيجة حدث الموت نفسه الا ان هذه الممارسالت والافعال يشترط ان تكون جماعية لا فردية كاقامة مجالس العزاء للرجال والنساء وزيارة الاموات الدورية شريطة الا تكون هذه الزيارات قبل مرور اربعين يوما على دفنه.

ABSTRACT

Max weber seen the view of world reformed by the systematical of meanings. The individual get it by systematical cultural interaction with social knowledge in his social life. It working to shape the general frames of meanings that Help individual to explain the social facts and situations. The religions participate in this operation by his tow most important social and psycho occupations. These occupations help the member of society to accept the social life and to achieve the social consolidation. That effected of all the social life aspects .

Most the scientists of cultural anthropology and sociology of religion agree with the general explanations of the consequence of sacred operation that applied to members or thing. Depend on the theory of fetish remains which explained the social effective of sacred operation. This remains conceders as social residues showed by social environment. It didn't appear in the sacred texts of religions. So that made the members and groups invitation the rituals so as to cover the religious aspects of these sacred members or things .

All the new religions that came to the new societies interact with the olds. The acculturation way that accrued between the new and the old religions transfer some characters from the old to the new social religious practice. Especially those came from the popular religious. This operation accrues with all consequence religions on the same society in the historical range. Because the religion knowledge stays with religious elite that backing by social faction which have economics benefits from the sacred operations for the members and things. The anther reasons are the fear of the bulkheads that prevent new believers come into new religion. These bulkheads may participate in determine the new religion diffusion. Especially in the heralding religions all that creates the indulgence with the some old religion contents .

The social understanding of new religions defer from the old one in the original society that religion appear in it. The first group believers made silent to keep the new people came into new religion when it be nearly of their social customs and habits